الفصل الثاني

إضاءات على التجربة العسكرية للمرأة الفلسطينية

هنادي السعيد

«تعاني المضطَهدات، دون أمل، الصمت المطبق، وحينما يكون الرفض أبعد من حدود التعبير يبدو، وكأنه غير موجود؛ يأتي هذا الفهم الخاطئ، من أننا لا نستطيع الإمساك بلحظة الصمت، وحينما ينكسر الصمت، فإننا نستطيع أن نفهم، ما لم نكن نفهم من قبل . . . الصمت لا ينفي وجود المعاناة والألم، وعلى الثورة، والثوار ،الاستماع باهتمام، وتركيز، للغة الصمت، هذا الاستماع، مهم، بالذات، لجنس النساء؛ فنحن نأتي عبر رحلة صمت طويلة، لكن تنظيم النساء، ووحدتهن، يكسر صمت الاضطهاد الطويل».

«شيلا روبتهام»[1]

لا شك في أن الغالبية العظمى من الباحثين والمهتمين من الحقول الأكاديمية والمعرفية؛ المعنية بموضوع المرأة الفلسطينية، والحقل الجنسوي بشكل خاص بما يحتويه كنظام من عناصر ومدخلات معرفية ذات جذور اجتماعية، تتفاعل فيما بينها لتتشكل تلك المخرجات باعتبارها جزء من النظام، وليست خارجة عنه؛ ترى في هذا الموضوع المطروق بحثاً مكروراً مستهلكاً ومستنفذاً من حيث الدراسة، وقد يذهب البعض لأن يرى انعداماً لأية إمكانية معرفية

(١)فاطمة بابكر محمود، المرأة الإفريقية بين الإرث والحضارة ، دار كمبردج للنشر، كيمبردج، ط1، 2002، ص33 .

جديدة ومحتملة في الموضوع.

انطلاقاً من موقع غير مقابل وغير مواز لهذا التوجه، فإننا نرى أهمية هذه الدراسة متجلية في حاجتنا الماسة، في المرحلة الراهنة، إلى إعادة تقييم ومراجعة الذات؛ ومساءلة الموجود من الأبحاث والفرضيات ، والتأويلات المعرفية السائدة على الساحة الأكاديمية . فالحقل الجنسوي المتعلق بالمرأة الفلسطينية، وبالرغم من الدراسات العديدة التي تمت عليه في الآونة الأخيرة -خاصة بعد ميلاد السلطة الفلسطينية في العام 1994 - فإنه وفي هذه المرحلة وكجزء من المجتمع الذي يمر بفترة مفصلية راهنة - يمكن تسميتها بمرحلة ما بعد النضال و ما قبل التحرر، إن صح إضاءات على التجربة العسكرية للمرأة الفلسطينية التعبير - تفرض علينا خصوصيتها كباحثين غير مغتربين عن هذا المجتمع . وفي المقابل لا نسعى إلى مجاملة العامة على حساب الفكرة وكرامة العقل، وبالتالي، نجد أنفسنا أمام ضرورة المراجعة والتأمل في الممارسة والتجربة على كافة مستوياتها النظرية والمعرفية والتطبيقية، وبالتالي، ضرورة الوقوف لتقييم المرحلة الراهنة، والتنبؤ بالمرحلة القادمة، عبر تقديم الصور المختلفة للمشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية، يمكن تأريخها دون إقصاء أو تهميش لأي من قواها المختلفة.

ذلك أن التهميش يبلغ حد الإقصاء التام، فعند الدخول في محركات البحث على الشبكة الدولية عن «فدائيات فلسطينيات» لا تجد إلا فدائيات الانتفاضة الثانية (انتفاضة الأقصى والاستقلال). فمواقع المقاومة الإسلامية لا تذكر سوى فدائياتها، فتبدأ باستعراض بطولات المرأة المسلمة منذ بدايات الإسلام وحتى الآن. وتنقل عنها بقية المواقع دون التوقف ولو لبرهة أمام تضحيات النساء الفلسطينيات خارج زمان ومكان المقاومة الإسلامية . الأمر الذي يشكل

دافعاً إضافياً للإضاءة على فدائيات الثورة الفلسطينية المعاصرة.

تُجمع النساء اللواتي اهتممن بنضال المرأة الفلسطينية، والفلسطينيات منهن تحديداً، على غياب التوثيق لبطولات المرأة الفلسطينية وتضحياتها في تاريخ الحركة الوطنية المعاصرة، الأمر الذي دفع بالعديد منهن إلى تدارك هذا التقصير، عَبر تدوين شهادات المناضلات بخصوص تجاربهن النضالية. وقد خرجت الشهادات لتعوض عن إهمال التوثيق الذي تعتبر جيهان الحلو في كتابها «المرأة الفلسطينية: المقاومة والتغييرات الاجتماعية - شهادات حية للمرأة الفلسطينية في لبنان 1965 -1985 » أن الثورة الفلسطينية المعاصرة تعاني منه، «ويؤدي إلى اندثار أحداثها مع كل من استشهد أو غاب من المناضلين، وهنا تصبح المشكلة مضاعفة بالنسبة للمرأة الفلسطينية، إذ على الرغم من الاعتراف بأهمية مشاركتها النضالية، إلا أن مدى فعالية هذه المشاركة بقي ضبابياً، لأن الفلسطينية المناضلة بقيت في الظل ، ولم تكن في الصفوف المتقدمة لقيادة منظمة التحرير أو في القيادة المؤثرة على ساحة النضال وبقي المشهد الذكوري هو الطاغي على مسرح التاريخ»(١). أين التوثيق من فاطمة برناوي ، وزكية شمروط وتيريز هلسا ودلال المغربي وسهيلة أندراوس ولمياء معروف وزهرة سعيد حسن . . . وغيرهن الكثيرات.

لعل المثال الأوضح لهذا الأمر هو التجربة النضالية للمرأة الفلسطينية، التي لا تزال تخضع للتهميش والتعتيم، وخصوصاً في حيِّزها العسكري .

---

(١)جهينة خالدية، شهادات حية للمرأة الفلسطينية في لبنان مناضلات يحكين ما لم يكتب بعد، عن:

www. aldiwan. org.

Fleischman, Ellen. Jerusalem Women' s Organizations Durings the British Mandate .(1920-1930). Passia, Marsh 1955.

بيت الذاكرة الفلسطينية في حلب/ سوريا، وعلى رأسها مديرها الأستاذ محمد السعيد آغا، الذي يبذل مجهوداً كبيراً لتوثيق الذاكرة الفلسطينية، فيقوم بجمع كل الوثائق والكتب التي تتناول القضية الفلسطينية، وهو ما أدى إلى تمكيني من الاطلاع على كتاب نادر بعنوان «الفدائيات»، يرصد المساهمة العسكرية للمرأة الفلسطينية في إطار «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين».

البدايات

شاركت المرأة الفلسطينية في النضال العسكري، قبل العام1936 ، كما تدل عليه قراءة التاريخ المدَّون . والمعلومات في هذه الفترة قليلة ومتضاربة ، أحياناً . فهناك ثغرة في كتابة تاريخ تلك المرحلة، نبّره إليها دارسات ودارسو الفترة التاريخية المشار إليها؛ إذ بينما ذكرت بعض المصادر التاريخية[1]، وأرَّخت لتشكيل «رابطة النساء العربيات الفلسطينيات »في القدس العام1929 ، التي انتهت نشاطاتها في العام1932 ؛ لم تتوافر معلومات عن مشاركة النساء ما بين- 1932 1936، كما أشارت الباحثة: روزماري صايغ، في مقدمتها لكتاب: صور لنساء فلسطينيات. وتشير كتب التاريخ إلى الانتفاضة الفلسطينية المميزة، التي شاركت فيها النساء بفعالية في العام1933 ، والتي لم يقف عندها التاريخ إلا بصورة عابرة . ومما يستدل على مشاركة المرأة الفاعلة، في تلك الفترة ؛ تلك المظاهرة الاحتجاجية، على زيارة مسؤولين بريطانيين، التي قامت بها نساء فلسطين، رغم الأمطار الغزيرة، يوم الجمعة 15 نيسان / إبريل العام1933 ، والتي تحدين فيها أعين البوليس البريطاني المتربصة، وأثبتن شجاعتهن، وذكاءهن وحنكتهن السياسية . سارت المظاهرة إلى مسجد عمر، وقامت سيدة

(1) Najjar, Orayb aref& Kitty Warnock. Portrates of Palestinian women Introduction . City: university of Utah press, 1992.

مسيحية ، ولأول مرة في التاريخ بإلقاء خطبة من على منبر المسجد، وهي السيدة متيل مغنَّم، وحين واصل الموكب مسيرته إلى القبر المقدس؛ قامت سيدة مسلمة، وهي طرب عبد الهادي، بإلقاء خطبة أمام قبر المسيح؛ ما يدل على وعي سياسي عميق، ورؤية ثاقبة للحركة النسائية المدينية، في تلك الفترة.

فيما يتعلق بالنساء الريفيات في فلسطين، قبل1936 ، لا يوجد ما يؤرخ لعملهن السياسي، ومشاركتهن في تلك الحقبة . وبسبب هذا الإهمال لنضالات المرأة الريفية الفلسطينية، ومشاركتها في تلك الفترة التاريخية الهامة من كفاح الشعب الفلسطيني،أشرفت د. فيحاء عبد الهادي على بحث لتقصي حقيقة وجود إطار، يحمل اسم «رفيقات القسام». ومعرفة طبيعة عمله، في حال التأكد من وجوده، و استقصاء أسماء نساء عملن مع الشيخ القسام، لدى عدم التأكد من وجود ذلك الإطار.

تذكر د. عبد الهادي أنها لدى تقصيها لإطار «رفيقات القسام »، أن إحدى الراويات للتاريخ الشفوي، من مخيم اليرموك في دمشق، كانت قد كشفت، كما جاء في المقدمة الهامة للباحثة: روز ماري صايغ، حيث تحدثت عن مشاركة المرأة الريفية الفلسطينية، ضمن هذا الإطار. ذلك الكشف، الذي لم يؤكده أي مصدر تاريخي مدوَّن، ما استلزم المضي في البحث والتقصي[1].

اتضح من تحليل المقابلات الشفوية، التي أخضعت للتحليل الكمي، ومن الرواة الذين أجابوا على السؤال (٤٣ راوياً: سبع وثلاثون راوية وستة رواة)؛ أن 39.5 ٪من الرواة (خمس عشرة راوية وراويين)، قد سمعوا بالإطار النسائي

(١)د . فيحاء عبد الهادي، أدوار المرأة الفلسطينية في الثلاثينيات ، المساهمة السياسية للمرأة الفلسطينية، مركز المرأة للأبحاث والتوثيق، البيرة / الضفة الغربية،2006 ، ص21 .

«رفيقات القسام»، و (٥ , ٦٠٪، اثنتا عشرة راوية، وأربعة رواة) لم يسمعوا[1].

إن عدم تناهي أمر وجود إطار «رفيقات القسام» إلى سمع أكثرية الرواة هو أمر طبيعي، وهو إن دلل على شيء، فإنه يدلل على عدة أمور:

•الأول سرية الأمر، حيث كانت تجربة القسام محاطة بالسرية بسبب تعقيد الظروف المحيطة بالنضال الفلسطيني.

•الثاني أنه لم يكن من المقبول بعد مشاركة المرأة في أنشطة كهذه، بل إن الظروف هي التي كانت قد دفعت بهذا الاتجاه.

•الثالث أن إقصاء الفعل النضالي للمرأة، أو مساهمتها بأي نشاط عام لا يلقى طريقه إلى التدوين وهو أمر توصلت إليه معظم الباحثات من النساء.

للتدليل على هذا الأمر، يمكن إيراد ما أكدته الباحثة الفلسطينية المخضرمة نهيل عويضة، وهي من النساء الأوائل في حركة القوميين العرب، في مقدمة كتابها الأول في سلسلة نساء شاميات بعنوان «أسماء أبو الخير الموقع»، الذي يحكي سيرة هذه المناضلة المؤسسة في حركة القوميين العرب.

تقول عويضة: «شعرت بضرورة البدء في هذه السلسلة من الكتب التي تدل على اسمها (نساء شاميات) لتوثيق نشاطات المرأة العربية المشرقية في الحقل العام في القرن الماضي لسد نقص في مكتبتنا العربية التي بقي التوثيق لها ذكورياً، فأغمط حق المرأة في كل جوانب حياتها، ومنها طبعاً أعمالها المميزة في العقود الماضية»[2].

أكدت الراوية سعاد توفيق أبو السعود، والراوي هارون هاشم رشيد،

(١)المصدر نفسه، ص21 – 22 .

(٢)المصدر نفسه، ص22 –23 .

سماعها بإطار «رفيقات القسام»[1]. ومن بين النساء اللواتي سمعن عن الإطار، لم تعرف أي واحدة من الراويات، زمن تشكل الإطار، وعرفت راوية واحدة فقط، كيفية حله . فقد تحدثت(سعادة الكيلاني) - والتي ذكرت بعض الراويات أنها كانت إحدى نساء المجموعة - حول كيفية حله فقالت: «انتهت المجموعة مع موت القسام . ما عدنا سمعنا عن هذا الإطار»[2].

ذكرت خمس راويات، وراوٍ واحد، أسماء عضوات من الإطار: سعاد أبو السعود، وسميرة أبو غزالة، وعواطف عبد الهادي، وسعادة الكيلاني، وعصام عبد الهادي، وأحمد محمود الزبن: «هذي فيه إمرأة كانت من الفالوجة؛ بس ما بعرف إسمها، وست كبيرة وشاركت. الأغلبية إسمها إم علي . هيك إشي مش عارفة ! وهذي كانت في الستين من عمرها، وكان والدي الله يرحمه يحكي لي عنها، يحكي يقول : مشافش أعظم من هالسِّت ! من الفالوجة هي، تحمل سلاحها وتجيبهم لهناك»[3].

«آه الحقيقة سمعت، منهم فاطمة غزال، ومنهم بعض الشخصيات؛ لكن بالوضوح اللي المفروض يكون موجود لم أجد ولم أقرأ»[4].

«زليخة شهابي زي ما حكيت لك، طرب عبد الهادي، آه هاي اللي بتذكرهم»[5].

---

(١)نهيل عادل عويضة، أسماء أبو الخير الموقّع ، سلسلة (نساء شاميات) 1 ، الطبعة الأولى، دمشق، 2008، ص6 .

(٢)اعتمدت أساساً على : د . فيحاء عبد الهادي، مصدر سبق ذكره ، ص23 - 27 .

(٣)مقابلة مع سعادة الكيلاني، 1920، الأردن، أجرت المقابلة الباحثة مها التميمي بتاريخ8 / 1998 .

(٤)مقابلة مع سعاد توفيق أبو السعود1925 ، غزة، أجرت المقابلة الباحثة : تغريد عبد الهادي بتاريخ: ١/ ٣/ ١٩٩٩

(٥)مقابلة مع سميرة أبو غزالة 1928 ، مصر، أجرت المقابلة الباحثة : هالة منصور بتاريخ 3 / 8 / 1998 .

« أنا بعرف رقية الحوري؛ هذه كانت من مجموعة القسام، ست عصام بتعطيك عنها من حيفا»[1].

«عرفنا من خلايا القسام مثلاً كانت رقية حوري، من حيفا، كانت أكثر من حيفا وعكا، أكثر من نابلس»[2].

«فيه كانت هناك بنت عمي نايفة الزبن، كانت في بلد الشيخ عز الدين القسام . ما بقدر أحصر أساميهن وكانوا كلهن مساعدين للشيخ القسام . وكان من جملتها واحدة اسمها سعاد من قضاء عكا بقت تيجي عند بنت عمي، كما في واحدة من صفد من سكان البلد كانت من جماعة عز الدين القسام، اللي بعرفهن حوالي سبعة ثمانية، كان عندنا من الطيرة ما كانوا يسمحوا للحرمة إنها تتجول أن تقعد مع رجال بس الختيارات الكبار كانوا يساعدوا بإيش؟ بغسل أواعيهم لأنه كانوا يطلعوا يتدربوا في الجبل، جبل الكرمل ويحضَّروا الأكل، كانت النساء الموجودات أغلبهن من فوق الخمسين، كانت غريبة الشيخة الحاجة عائشة أبو غيداء الشوكانية»[3].

عن طبيعة المهمات، التي ذكرها من سمعوا بإطار «رفيقات القسام »، لم تتمكن سوى ست راويات، من خمس عشرة راوية، ممن سمعن عن الإطار، أن يحددن طبيعة المهمات، التي قامت بها عضوات الإطار : حددتها راويتان بأنها عسكرية، ومثال على ذلك شهادة كل من: خضرة مصطفى الساري،

(١)مقابلة مع عواطف عبد الهادي 1925 ، جنين، أجرت المقابلة الباحثة : سمية الصفدي بتاريخ / 25 / 9 1998 .

(٢)مقابلة مع سعادة الكيلاني، ورد ذكرها.

(٣)مقابلة مع عصام عبد الهادي1928 ، الأردن، أجرت المقابلة الباحثة : سناء محرم بتاريخ 5 / 8 / 1998 . .

وسميرة أبو غزالة، وأربع نساء حددنها بأنها سياسية اجتماعية، ومثال على ذلك، شهادة الراوية عدالة طوقان:

«هن اللي كانوا يدزوا سلاح للشباب»[1].

«قرأت أشياء لكن ناسية، منها يعني : بعض منهم كانوا يدربوا على السلاح، وبعض منهم شاركوا؛ لكن الأسماء لا أحفظها، وفيه منهم كان أتذكر وأنا كنت في نابلس صغيرة، وكان جوه في نابلس في جبال، كانت كل الأسر تطبخ لهم، وتبعث لهم، كانوا يجمعوا فلوس ويجمعوا ملابس، وكانوا بهذا الإطار فيه بعض منهم مش كتير اللي تدربوا على السلاح، وبعض منهم كانوا روافد للمقاتلين»[2].

«رفيقاته اللي كان يقدموا له من طعام ومن راحة . زمن كل إشي، ويستقبلوه في بيوتهم»[3].

هذا في حين تحدث الرواة من الرجال الذين سمعوا عن الإطار، وهم اثنان، عن طبيعة المهام، التي قامت بها النساء، من خلال شهادة شاهد عيان، وهو الراوي أحمد الزبن، الذي يتحدث عن دور تمويني مميَّز، قامت به النساء، أو من خلال قراءات عن هذا الدور، كما في شهادة الراوي هارون هاشم رشيد، الذي تحدث حول طبيعة المهمات، ومن واقع تلك القراءات: «بلد الشيخ كل حرمة كانت مثلاً ما بقدر أحصر أساميهن وكانوا كلهن مساعدين للشيخ القسام»[4].

---

(١)مقابلة مع أحمد محمود الزبن1913 (يدزوا = يرسلون)، مخيم اليرموك، دمشق، أجرت المقابلة الباحثة : مها التميمي، بتاريخ27 / 7 / 1998 .:

(٢)مقابلة مع خضرة مصطفى الساري 1917 ، حيفا، بير المكسور، أجرت المقابلة الباحثة : منى محاجنة ، بتاريخ5 / 9 / 1998 .

(٣)مقابلة مع سميرة أبو غزالة، ورد ذكرها.

(٤)مقابلة مع عدالة طوقان 1913 ، جنين، أجرت المقابلة الباحثة : سمية الصفدي ، بتاريخ . : 11 / 8 / 1998 .

«هادول كانوا أولاً مش متعلمات . سيدات قرويات، أزواجهم كانوا . معظم السيدات اللي ظهروا في مرحلة القسام، كان أزواجهم من رجال القسام، فكانوا بيأخذوا دور المساند . ما فيهوش الممرضة اللي كذا . ثورة القسام لم يكن وراءها أي إمداد من أي جهة، لم يكن وراءها أي مساندة؛ لذلك كانوا هؤلاء النسوة يقوموا بالتمويل، يقوموا بالتطبيب، يقوموا بالرقابة، يعني بعضهم بعض السيدات يكونوا في أماكن معينة للرقابة . يعطوهم إشارة . هذا ما قرأته أنا . أنا قرأت، ولا أقول أنني عشت؛ ولكن قرأت في أكثر من مصدر، واستمعت لأكثر من رجل، من الناس المخضرمين، اللي عاشوا تلك المرحلة . هؤلاء النسوة، كانوا جزء أساسي ورئيسي، في إنجاح عملية القسام. وكانوا في أكثر من مرة، أنقذوهم من أن يقعوا في يد البريطانيين هذا ما أعرفه»[1].

عندما سُئلت الراويات عن مشاركة النساء في مجموعة عز الدين القسام، قالت خزنة الخطيب إن امرأة الشيخ عطية كانت قد شاركت؛ في حين أعرب الرجال عن عدم معرفتهم بأسماء النساء اللواتي شاركن في مجموعة القسام . إلا أن راويين تمكنا من تحديد طبيعة المهمات، التي قامت بها النساء ضمن مجموعة عز الدين القسام . أحدهما قال إنها عسكرية، بينما حددها الثاني بأنها سياسية – اجتماعية.

أما النساء فقد أجابت ست منهن عن هذه المهمات وحددتها : أربع مهمات سياسية- اجتماعية، واثنتين عسكرية[2].

«بقولك يلحقنهم بمية، ويجرن معاهم، إللي يقع يقيمنه، اللي يعطش يسقينه، يقيمن معاه يعني، الجريئة كانت تحمل (سلاح) ،وإللي تخاف من السلاح ماتحملش، أنا حكيت لك : أنا بنفسي حملت السلاح وضربت فيه خطرتين،

(١)مقابلة مع أحمد محمود الزبن، ورد ذكرها.

(٢)مقابلة مع هارون هاشم رشيد 1927 ، القاهرة ، أجرت المقابلة الباحثة : صباح الخفّش بتاريخ 28 / 9 / 1998 .

لقفه جوزي مني، آه، يعني الجريئة كانت تحمل سلاح، وإللي تخاف متقدرش تقدم عليه، أما تساعد، من أكل من شرب، تساعد هذا وقع تقيمه، هذاّ ترش عليه نتفة مية، يعني تجري معهم»[1].

لدى قراءة شهادات الرواة، وتقصي حقيقة وجود إطار نسائي(رفيقات القسام) ، يتبين تخبُّط الرواة، وعدم التأكد، بالنسبة لوجود إطار يسمى: (رفيقات القسام). وقد أعطت مؤشرات البحث، دلالات على وجود نساء، عملن مع الشيخ : عز الدين القسام؛ دون أن يشكلن إطاراً يحمل هذا الاسم.

لكن مما لا شك فيه أن المرأة الفلسطينية ساهمت، ولو ضمن إطار ضيق، في أول تجربة عسكرية لمقاومة الاحتلال البريطاني، والغزوة الصهيونية، هي تجربة الشيخ عز الدين القسام. وهذه التجربة تؤكد وجود استعداد لدى المرأة الفلسطينية للدفاع عن وطنها بكل السبل المتاحة ، مهما كانت محدودة ، ورغم كل الصعاب ، التي يمكن أن تعترضها.

رغم مساهمة المرأة الفلسطينية في الثورة الفلسطينية المعاصرة (ظاهرة الفدائيات)،فإنه لم يتم حتى الآن توثيق هذه التجربة في بحث جدي . ومن الكتب المتوافرة حول هذا الموضوع كتيب صغير عن الشهيدة دلال المغربي، وكتاب صغير آخر بعنوان «الفدائيات» تناول التجربة العسكرية للمرأة الفلسطينية في «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » .

فدائيات الثورة الفلسطينية المعاصرة

بعد حملة التطهير العرقي ، التي قامت بها العصابات الصهيونية المسلحة

(١)مقابلة مع طاعة عوض 1930 ،رفح / غزة، أجرت المقابلة الباحثة : تغريد عبد الهادي، بتاريخ2 / 2 / 1999 .

عام1948 ، وما أفضت إليه من تشريد غالبية الشعب الفلسطيني، اقتصر دور المرأة الفلسطينية على صعيد الدور الاجتماعي، واتسم بالصمود أمام نكبة عام 1948 والإسهام بخدمات صحية وتعليمية واجتماعية لأبناء اللاجئين، حيث تأسس أيضاً «الاتحاد العام للجمعيات الخيرية» في ضفتي الأردن، و بلغ عدد الجمعيات 56 جمعية في ذلك الوقت.

كما امتد الدور السياسي والعسكري والاجتماعي للمرأة الفلسطينية إلى الفترة التي تلتها من منتصف الأربعينيات، وحتى قبيل نكسة ١٩٦٧، حيث نظمت المظاهرات، استنكاراً للتحالف مع الاستعمار. وانضمت المرأة الفلسطينية للأحزاب السياسية. وعلى الصعيد العسكري تشكلت الفرق السرية مثل «زهرة الأقحوان» (١٩٤٨)التي رافقت الثوار وقامت بأعمال التمريض وتزويد الثوار بالأسلحة والمؤن . ومن مناضلات تلك الفترة «عادلة فطايري»، و «يسرى طوقان» و «فاطمة أبو الهدى».

كما تشكلت منظمة «الأرض» السرية في فلسطين المحتلة ومن قادتها «نجلاء الأسمر». ومن شهيدات تلك المرحلة «حياة البلبيسي»، و«جوليت»[1].

مع بدايات انطلاق الثورة الفلسطينية المعاصرة، اقتحمت المرأة الفلسطينية ميدان الكفاح المسلح، بدءاً من دخولها في الأُطر التنظيمية ونشوء الاتحادات، وحتى العمل الفدائي ، والتدريب العسكري . وبعد حرب عام1967 ، وفي منتصف السبعينيات، اتجهت بعض المناضلات الفلسطينيات إلى العمل المسلح، واتسعت القاعدة الجماهيرية ، وتشكلت لجان نسوية تقدمية جديدة على نطاق القرى والمخيمات في الضفة الغربية وقطاع غزة أمثال نعمة الحلو

(١)غسان الشامي، المرأة الفلسطينية والإعلام من الجذور إلى الظهور، لها أون لاين : www. lahaonline. com.

وأمينة عودة ولطفية الحواري، فقد تحدثت فري أبو الهيجا (من لبنان)، إنه «في العام 1969 أخذونا إلى عمان، إلى معسكر ناعور، وكانت الدورة العسكرية الأولى وكان فيها مجموعة كبيرة من بنات فلسطين من لبنان»[1].

مما ترويه المناضلات في لبنان، بطولات أسطورية لعشرات النساء اللواتي استشهدن لتأمين الطعام والأدوية لمخيم تل الزعتر المحاصر، وجبروتهن عند إعادة بناء مخيم عين الحلوة الذي دمرته قوات الاحتلال الإسرائيلي، سنة ١٩٨٢ بالكامل[2].

بشيء من التفصيل، وضمن المتاح من مراجع، يمكن سرد نماذج من الفدائيات منهن:

١- **زكية شموط** : من أوائل المناضلات في الثورة الفلسطينية الحديثة، استقبلتها الجزائر، بسبب رفض أي من الدول العربية استقبالها وعائلتها، بعد خروجها من الأسر، الذي أمضت فيه ثمانية أعوام برفقة زوجها، إثر عملية تبادل للأسرى.

تحدثت السيدة شموط عن العملية الفدائية التي قامت بها قائلة: «...اشتريت بطيخة من جوار السرك، أفرغناها من الداخل وملأناها متفجرات، ثم ارتديت معطفاً محشواً بالديناميت، وحملت ولدي بيد، والقنبلة بيد أخرى، وأنا خائفة من انفجار القنبلة قبل الوصول إلى الهدف، بوصولي إلى المكان وضعت السلة وفوقها المعطف، وللتمويه أسقطت رضاعة ابنتي بين الصفوف، ونزلت لاستعادتها وأنا أوصي امرأة يهودية على أمتعتي، وما كدت أغادر السرك بوقت قصير، حتى بلغني صوت الانفجار. . . لا يمكنك تصور مقدار

(١) خالدية، مصدر سبق ذكره.

(٢) المصدر نفسه.

فرحتي يومها، شعرت بلذة الانتقام ممن هجَّرونا من أرضنا ليتمتعوا بخيراتها، وأحسست بالرضى لأنني أذقت بني صهيون جزءاً يسيراً من العلقم الذي شربوه لنا...»[1].

٢- **فاطمة برناوي**: التي كانت قد التحقت في الثامنة عشرة من عمرها، بحركة « فتح »، وشاركت في تنفيذ عمليات فدائية إلى أن أُلقي القبض عليها خلال عملية زرع عبوة ناسفة في سينما صهيون في القدس الغربية عام 1967 . وعن تلك العملية قالت برناوي إنها دخلت صالة السينما، برفقة زميلين وخلال عرض الفلم تركت فاطمة حقيبتها الملغَّمة وخرجت لكن صحفيًا أمريكيًا كان هو الآخر في الصالة تنبَّه للحقيبة فقام بتسليمها للمسؤولين الذين اكتشفوا أمرها فتم اعتقال الخلية . وأمضت فاطمة عشر سنوات في السجن التقت خلالها بالمطران كبوتشي قبل أن يفرج عنها ويتم إبعادها في 11 / 11 / 1976 . لكن فاطمة لم تتردد فالتحقت بكوادر المقاومة الفلسطينية في لبنان حيث كان شقيقها محمد - وهو الوحيد بين أربع بنات -مقاتلاً في صفوفها[2].

٣- **دلال المغربي**: ولدت عام 1958 في مخيم اللاجئين الفلسطينيين صبرا القريب من بيروت من أم لبنانية وأب فلسطيني كان قد لجأ إلى لبنان في أعقاب النكبة، عام 1948 . تلقت دلال دراستها الابتدائية في مدرسة يعبد ودرست الإعدادية في مدرسة حيفا وكلتا المدرستين تابعتين لوكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين في بيروت.

التحقت دلال بالحركة الفدائية الفتحاوية، وهي على مقاعد الدراسة فدخلت عدة دورات عسكرية وتدربت على جميع أنواع الأسلحة وحرب

(١)فلسطيني بلا هوية، فدائيات من وطني، شبكة ومنتديات، بائد على الإنترنت www. 3aed. net

(٢)المصدر نفسه، عن لقاء مع موقع «فلسطينيو 48 ».

العصابات وعرفت بجرأتها وحماسها الثوري والوطني . كان عام 1978 عاماً سيئاً على الثورة الفلسطينية، فقد تعرضت لعدة ضربات وفشلت لها عدة عمليات عسكرية، وتعرضت مخيماتها في لبنان إلى مذابح، فبات من الملح القيام بعملية نوعية وجريئة لضرب الكيان المعتدي في قلب عاصمته؛ فكانت عملية «كمال عدوان» ،التي وضع خطتها القائد الراحل «أبو جهاد». وقامت على أساس تنفيذ إنزال على الشاطئ الفلسطيني والسيطرة على حافلة عسكرية ثم التوجه بها إلى تل أبيب لمهاجمة مبنى الكنيست الذي كان في حينه هناك . ورغم كونها عملية فدائية استشهادية، فقد تسابق الشباب على الاشتراك فيها وعلى رأسهم دلال المغربي ابنة العشرين ربيعاً، وتم فعلا اختيارها رئيسة للمجموعة التي ستنفذ العملية والمكوَّنة من ثلاثة عشر فدائياً، وبينهم لبناني وآخر يمني كان يحلم بالصلاة في المسجد الأقصى، بالإضافة إلى دلال . عُرفت العملية باسم «عملية كمال عدوان»، وحملت الفرقة التي قادتها دلال المغربي اسم «فرقة دير ياسين» .

في صباح يوم 11 آذار / مارس 1978 نزلت دلال مع فرقتها الفدائية . ركبت مجموعة دير ياسين سفينة نقل تجارية تقرر أن توصلهم إلى مسافة 12 ميل عن الشاطئ الفلسطيني، ثم استقلت المجموعة زوارق مطاطية أوصلتهم إلى شاطئ مدينة يافا القريبة من تل أبيب حيث مقر البرلمان، الهدف الأول للعملية، غير أن رياح البحر المتوسط كانت قوية في ذلك اليوم ، فحالت دون وصول الزوارق إلى الشاطئ في الوقت المحدد، الأمر الذي دفع بالزورقين المطاطيين إلى البقاء في عرض البحر ليلة كاملة تتقاذفها الأمواج حتى لاحت أضواء تل أبيب، ووصلوا إلى الشاطئ في منطقة غير مأهولة. نجحت عملية الإنزال والوصول إلى الشاطئ ولم يكتشفها الإسرائيليون، وقد نجحت دلال وفرقتها في الوصول إلى

الشارع العام المتجه نحو تل أبيب، ثم تجاوزت مع مجموعتها الشاطئ إلى الطريق العام قرب مستعمرة (معجان ميخائيل)، حيث تمكنت المجموعة، من إيقاف سيارة باص، بلغ عدد ركابها ثلاثين راكباً، وأجبروها على التوجه نحو تل أبيب . . وفي الطريق استطاعت المجموعة السيطرة على باصٍ ثانٍ ونقل ركابه إلى الباص الأول وتم احتجازهم كرهائن ليصل العدد إلى 68 رهينة.

كان الوجوم يخيِّم على وجوه الرهائن إذ لم يخطر ببالهم رؤية فدائيين على أرض فلسطين، وخاطبتهم دلال قائلة: نحن لا نريد قتلكم نحن نحتجزكم فقط كرهائن لنخلِّص إخواننا.

المعتقلين في سجونكم من براثن الأسر، نحن شعب يطالب بحقه بوطنه، وحين رأت دلال ملامح الاستغراب في وجوه الرهائن سألتهم : «هل تفهمون لغتي أم أنكم غرباء؟» هنا ظهر صوت يرتجف من بين الرهائن لفتاة قالت إنها يهودية من اليمن تعرف العربية، فطلبت دلال من الفتاة أن تترجم ما تقوله للرهائن، ثم أردفت : «لتعلموا جميعاً أن أرض فلسطين عربية وستظل كذلك»، ثم أخرجت دلال من حقيبتها علم فلسطين وقبلَّته بكل خشوع وعلَّقته داخل الباص وهي تردد. . . .

«بلادي . . . بلادي . . . بلادي لك حبي وفؤادي»

عند هذه اللحظة، اكتشفت القوات الإسرائيلية العملية، فجنَّدت قطعاً كبيرة من الجيش وحرس الحدود لمواجهة الفدائيين، وسعت إلى وضع الحواجز في جميع الطرق المؤدية إلى تل أبيب، لكن الفدائيين تمكنوا من تجاوز الحاجز الأول ومواجهة عربة من الجنود وقتلهم جميعا، الأمر الذي دفع بقوات الاحتلال إلى تكثيف الحواجز حول الطرق المؤدية إلى تل أبيب، غير أن الفدائيين استطاعوا تجاوز حاجز ثانٍ وثالث حتى أطلوا على مشارف تل أبيب، فارتفعت روحهم

المعنوية أملاً في تحقيق الهدف، لكن قوات الاحتلال صعَّدت من إمكاناتها العسكرية بمزيد من الحشود لمواجهة ثلاثة عشر فدائياً تقودهم فتاة ، أطلوا من خلف الشتات بأسلحة خفيفة صمدت في وجه دباباتهم، فتمركزت الآليات العسكرية المدرعة قرب نادٍ ريفي اسمه (كانتري كلوب) وأصدر رئيس الأركان الإسرائيلي إيهود باراك أوامره بإيقاف الباص ، بأي ثمن.

عملت قوات الاحتلال على تعطيل إطارات الباص ومواجهته بمدرعة عسكرية ، لإجباره على الوقوف . . حاولت المجموعة الفدائية مخاطبة الجيش بهدف التفاوض وتحسباً في ألا يُصاب أحد من الرهائن بأذى، لكن جيش الاحتلال رفض أن يصغي لصوت الفتاة اليهودية المغربية التي حاولت محادثتهم من نافذة الباص، وأعلن عبر مكبرات الصوت أن لا تفاوض مع جماعة (المخربين) وأن ليس أمامهم إلا الاستسلام فقط.

أصدرت دلال أوامرها للمجموعة بمواجهة قوى الاحتلال، وجرت معركة عنيفة ، ضربت خلالها دلال المغربي ومجموعتها نماذج في الصمود والجرأة في الأوقات الصعبة . أصيبت دلال واستشهد ستة من المجموعة، وبدأ الوضع ينقلب لمصلحة الجيش، خاصة وأن ذخيرة المجموعة بدأت في النفاد . كانت قوات الاحتلال خلال هذا المشهد تطلق قذائفها غير مبالية باليهود الرهائن المحتجزين بالباص، فتساقطوا بين قتيل وجريح، وظهر للمجموعة أن الوضع آخذ في التردي خاصة وأن دلال أصيبت إصابة بالغة.

استشهدت دلال المغربي ، ومعها أحد عشر من الفدائيين بعد أن كبَّدوا جيش الاحتلال حوالي ٣٠ قتيلاً ، وأكثر من 80 جريحاً وهي الأرقام التي أعلنتها قوات الاحتلال، أما الاثنين الآخرين فتقول الروايات إن أحدهما نجح في الإفلات والآخر وقع أسيراً متأثراً بجراحه، فأقبلت قوات الاحتلال بشراسة

وعنجهية على الأسير الجريح تسأله عن قائد المجموعة فأشار بيده إلى دلال، وقد تخضبت بثوب عرسها الفلسطيني، لم يصدق إيهود باراك ذلك فأعاد سؤاله على الأسير الجريح مهدداً ومتوعداً، فكرر الأسير قوله السابق : «إنها دلال المغربي» . فأقبل عليها إيهود باراك يشدها من شعرها ويركلها بقدمه بصلف لا يقر بحرمة الأموات . تركت دلال المغربي التي بدت في الصور التي تناقلتها وكالات الأنباء، وباراك يشدها من شعرها أمام المصورين، وصية تطلب فيها من رفاقها المقاومة حتى تحرير كامل التراب الفلسطيني.

كانت جثة الشهيدة دلال المغربي على قائمة الجثامين التي طالب بها حزب الله اللبناني في إطار صفقة لتبادل الأسرى أُبرمت مع إسرائيل في 17 تموز/ يوليو 2008ولكن فحوص الحمض النووي DNAأظهرت عدم إعادة الجثمان وأن الجثامين المعادة هي لأربعة شهداء مجهولي الهوية. . . ولا يزال جثمانها الطاهر غير معروف المكان[1].

فدائيات الجبهة الشعبية[2]

بدأ نضال المرأة الفلسطينية السياسي في إطار «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» منذ تشكيل «حركة القوميين العرب»، التي ضمت في تشكيلتها عناصر نسائية فلسطينية، تم فرزها إلى الجناح الفلسطيني لهذه الحركة، ثم ما لبثت أن خرجت منها كل من «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين القيادة العامة»، «والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين» . وبقيت «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين»، التي ضمت في تشكيلاتها عناصر نسائية، انخرطت في العمل العسكري، فشاركت في

(١)موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة على الإنترنت.

(٢)اعتمدت أساساً على : منى أحمد غندور، الفدائيات / أم أحمد وبناتها الثلاث في المعركة ، اللجنة النسائية في الهيئة الوطنية،1969 ، بيروت، من ص17 – 30 .

عدد من العمليات الفدائية، سواء داخل فلسطين، أو خارجها. فقد شاركت مناضلات الجبهة الشعبية، في تنظيم «أيلول الأسود» ، منهن: ليلى خالد، وسهيلة أندراوس . . . وغيرهن ممن حافظن على السرية، والتكتم حتى اليوم.

كانت أم الفدائيين، وهو اللقب الذي أطلق على السيدة «أم أحمد» التي فقدت زوجها ونسف العدو بيتها، وقاد ابنها البكر الوحيد ـ وقد سبق له أن كان ضابطاً في أحد الجيوش العربية ـ مجموعة من مقاتلي الجبهة الشعبية. كانت أم أحمد قد صحبت معها بناتها الثلاث إلى الجبل، ليحملن السلاح، ويشاركن في مقاومة الاحتلال، ومطاردة قواته.

رغم بلوغها الثانية والخمسين، فإن «أم أحمد» كانت قد تولت قيادة وحدات نسائية، في دوريات استطلاع، لرصد تحركات، ومواقع العدو، وزرع الألغام، على ضوء حصيلة عمليات الاستكشاف.

تذكر السيدة منى أحمد غندور، في كتابها «الفدائيات: أم أحمد وبناتها الثلاث في المعركة»، أنها رافقت «أم أحمد»، ذات يوم، في إحدى عمليات زرع الألغام . ثم قدمت السيدة غندور وصفاً مفصلاً، لما شاهدته.

محصِّلة القول، أن دور المرأة الفلسطينية المناضلة، في صفوف «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين»، لم يكن يقتصر على المهمات التقليدية من: تمريض، وإسعاف، وإعداد للطعام، ورتق، وغسل الثياب للفدائيين، وجمع التبرعات، بل تجاوز ذلك، وصولاً إلى حمل السلاح.

تتابع السيدة غندور تسجيلها للأعمال العسكرية، التي كانت تقوم بها المرأة في إطار الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، فتتحدث عن عمليات النسف قائلة: «وفي حين تتدرب المرأة الفدائية على استخدام جميع أنواع الأسلحة، وقتال حرب العصابات، بما في ذلك قذائف آر.بي.جي. الصاروخية، يركِّز المسؤولون في

تدريبها على عمليات النسف والتفجير بصورة خاصة، وعلى إحكام التصويب، وإصابة الهدف، بطلقات الرشاشات السوفياتية، والتشيكية، والصينية، وكذلك على الرمي بالمسدس للإصابة القاتلة بالتوجيه، أو ما يسمى «الإطلاق الأعمى».

وأكدت السيدة غندور، من واقع ما عايشته ورأته في القواعد، أن الفدائيات الفلسطينيات قنَّاصات بارعات، لا يصبن الهدف فقط، بل الموضع الذي يردن إصابته من هذا الهدف، وسواء أكان ذلك بالبنادق والرشاشات الأوتوماتيكية، أم بالقذائف الصاروخية المضادة للدبابات والمدرعات.

لقد أصبحت القواعد المخصصة لإقامة وانطلاق العمليات الفدائية تعرف باسم «القواعد النسائية»... ذلك أن كل عناصرها من النساء، ابتداءً بالمدربات والمقاتلات، وانتهاء بالفتيات اللواتي يعملن في إعداد الذخيرة والسلاح وشؤون التموين والمواصلات . وتجري حراسة القواعد وحمايتها بالتناوب بين المقاتلات.

من بين التدريبات الميدانية للفدائيات، الاشتراك بالمناوبة بينهن في العمليات اليومية الليلية والنهارية لدوريات الفدائيين الخاصة بعمليات الرصد والاستكشاف، والتي يُقصد من ورائها تعويد المرأة المقاتلة على المسيرات الجبلية الطويلة الشاقة، ما بين تسلقها الجبال وهبوطها إلى الوديان وعبور الأنهار والبحيرات الصغيرة التي تتكون في المنخفضات نتيجةً لتجمع السيول.

كما تكتسب المقاتلة، من خلال مشاركتها الدوريات في استكشاف خطوط ومواقع وتحركات قوات العدو، مزيَّة دراسة الأرض مسرح عمليات المقاومة، طبيعتها ، ومسالكها ،ودروبها . . حتى إذا ما اضطرت إلى الإفلات من مأزق مطاردة العدو أو تطويقها تجد طريقها إلى قاعدتها دون صعوبة كبيرة.

هذه قصة ترويها السيدة غندور لما جرى مع إحدى الفدائيات وهي «أم فضل»

فتقول:

«وقد شاهدت صدفة مثالاً للإفلات من تطويق قوات العدو، خلال إقامتي بين البطلات المناضلات في قاعدتهن المؤقتة، التي لا تزيد عن كونها كهفاً ضخماً في بطن أحد جبال مرتفعات الضفة الغربية، وذلك حين وصلت فجأة إلى قاعدة المقاتلة (أم فضل) وهو الاسم الحركي الذي تعرف به في المقاومة، تغيبت (أم فضل) عن القاعدة مدة ستة أيام . حيث غادرتها للتزوُّد بالتموين . . وكانت قيادتها على وشك أن تعتبرها مفقودة وتصدر بلاغاً بذلك، عندما ظهرت فجأة في القاعدة.

«جاءت مغبرَّة الوجه شاحبة اللون بادية الضعف. كان الجوع يمزق أحشاءها والإرهاق يرسم ملامحه على وجهها الرقيق. فقد قضت تلك الأيام كلها في صراع مع متاهات الجبل ومرتفعاته ومنخفضاته بحثاً عن طريقها إلى قاعدتها.

«وكانت كلما لمحت بعض كمائن العدو أو دورياته تسارع بالاختفاء بين الأعشاب ووسط الصخور والأكمات، أو في إحدى المغارات. أكلت العشب وشربت الماء الآسن، ولم تتمكن من النوم إلا لحظات قليلة؛ وبعد أن أُسعفت ببعض المأكولات الجافة الخفيفة راحت في نوم عميق استمر 36 ساعة متواصلة . وعندما استيقظت كانت جد سعيدة بمغامرتها تلك».

أما «أم باسل»، فقد تركت العمل في الجبل ، لتشترك وصديقتها في العمل السري المسلح في المدن، وكانت نابلس ميدان نشاطها. اشتركت مع الشهيدة «شادية أبو غزالة» في وضع عبوة ناسفة بجوار مقر الحاكم العسكري الإسرائيلي، داخل صندوق سيارة عسكرية كانت تقف إلى جانب المبنى . وعندما انفجر توقيت العبوة دمرت السيارة تدميراً كاملاً وقتل ثلاثة جنود وجرح آخرون، إلى أن انتدبت لتدريب بعض المجندات الجديدات من فتيات نابلس،

فتولت شادية العمل مكانها.

«بينما كانت في طريقها لنسف إحدى المؤسسات العسكرية للعدو في نابلس، ولخطأ في التوقيت، أو عطل مفاجيء وقع في ساعة التوقيت، انفجرت العبوة الناسفة في جسم البطلة الشهيدة شادية أبو غزالة ومزق الانفجار جسدها . وقد سارت نابلس وراء نعش الشهيدة، وعجزت قوات العدو عن التصدي للجنازة التي كانت جموعها تهتف «كلنا شادية»، وفي مقدمتهم كانت أم باسل، التي تسللت من الجنازة، عائدة إلى الجبل».

لقد اجتذبت الثورة الفلسطينية إلى جانبها عناصر التحرر، أنصار حق الشعوب في تقرير مصيرها والحياة على أرضها في حرية وسلام . وأصبحت الثورة تتمتع بتأييد الملايين من روادّ الحرية أعداء الاستعمار والامبريالية، واتخذ هذا التأييد، الذي كان ينمو يوماً بعد آخر بنمو الثورة واتساع عملياتها المسلحة، صوراً عدة في الأوساط العالمية. .

وصل الأمر ببعض الذين تفيض عواطفهم بالحماس لقضية الشعب المغتصَب وطنه والمطرود عنوة خارجه إلى التطوع بين أجهزة الثورة والاندماج في صفوف الثورة، منهم فاطمة الباكستانية، وهي فتاة باكستانية كانت تعيش في لندن، طالبة بكلية الفنون الجميلة، تبلغ من العمر ستة وعشرين عاماً، واسمها الحقيقي «فاطمة جناح».

تركت دراستها وعملها وغادرت لندن حيث عرفت طريقها إلى الثورة الفلسطينية، ولم تلبث أن تطوعت في صفوف العمل الفدائي بالقطاع النسائي العسكري للجبهة الشعبية، مودِّعة حياة الاستقرار والرفاه في لندن.

ومن الفدائيات «أمينة دحبور» فمن من هي «أمينة »الفدائية التي هاجمت الطائرة الإسرائيلية؟ إنها المدرِّسة الفلسطينية التي شاركت في عملية الهجوم الجريئة

على طائرة «العال» في مطار زيوريخ . بدأت قصتها في خان يونس، التي فتحت عيونها على الضياع في مخيم الرملة للاجئين. أمضت أحزانها حتى أصبحت مدرسة في معسكر اللاجئين . فكيف تحولت إلى فدائية؟ وكيف تلقت الأمر بالعملية؟ . وكيف كانت اللحظات الأخيرة في الكمين المختفي وراء الثلوج؟. .

طويلة تلك الرحلة التي قطعها ثلاثة رجال وامرأة إلى مطار كلوتن بزيوريخ في سويسرا. . ورغم طول زمن هذه الرحلة التي هاجم في نهايتها الفدائيون الفلسطينيون طائرة شركة «العال» الإسرائيلية، فإن أحداً لم يهتم كثيراً كيف بدأت ... لكن الجميع شدتهم نقطة الوصول. لقد تميزت مناضلات الجبهة الشعبية في عمليات خطف الطائرات منهن المعروفات ، ومنهن من رفضن الظهور والحديث عن تجربتهن.

من المعروفات ليلى خالد، وهي من مواليد مدينة حيفا 9 نيسان / أبريل 1944، لجأت أسرتها إلى لبنان، وهناك تلقت ليلى خالد تعليمها، حتى بدأت نضالها وهي بنت الخمسة عشر ربيعاً، عندما التحقت بـ«حركة القوميين العرب».

سافرت ليلى للعمل في الكويت، وهناك نشطت في «حركة القوميين العرب»، وبعد العودة من الكويت، طلبت من قيادتها في الحركة الاشتراك في العمليات العسكرية داخل أرض فلسطين المحتلة.

انضمت ليلى خالد التي عرفت بالاسم الحركي «الرفيقة شادية أبو غزالة»، إلى «شعبة العمليات الخارجية»، فأظهرت مهارة كبيرة في التدريبات العسكرية التي تلقتها في الأردن، حتى كلفها مسئول الشعبية للمجال الخارجي، الدكتور وديع حداد، بالقيام بعملية فدائية، لكنها لم تكن عملية عسكرية كلاسيكية، وإنما كانت خطف طائرة أمريكية، متجهة إلى تل أبيب.

في 28 أغسطس/ آب ١٩٦٩، تم تنفيذ الخطة،واختطفت الطائرة الأمريكية

التي أقلعت من روما و كان من المفترض أن يكون على متنها إسحق رابين، إلا أنه غيَّر الطائرة في اللحظات الأخيرة وعاد إلى إسرائيل على طائرة شركة «العال».

حطت الطائرة المختطفة في مطار دمشق، وأجلي منها جميع ركابها، وتفاوض السوريون مع إسرائيل عبر الصليب الأحمر، وتم تبادل 6 إسرائيليين بـ 13 سورياً من بينهم طيارين عسكريين، بعدها فجَّرت ليلى خالد الطائرة، وسلمت، ورفيقها أبو الدُمَّر، نفسيهما إلى السلطات السورية، وبعد فترة، عادت إلى الأردن، ومنها إلى لبنان.

بعد عام واحد على تنفيذ العملية الأولى، تم تكليف ليلى خالد، بخطف طائرة أخرى، تابعة لشركة العال، وقد نفذت العملية الثانية ، أيضاً.

كذلك سهيلة أندراوس السايح، فلسطينية، ولدت في 28 آذار/ مارس ١٩٥٣، عاشت في ضاحية بيروت، حي الحدث. بعد مذبحة تل الزعتر، حاولت أن تصبح راهبة، في أحد الأديرة، لكنها عدلت عن الفكرة. انتمت للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ثم درست في بغداد، وتلقت تدريبات عسكرية خاصة. اسمها الحركي «ثريا الأنصاري»، شاركت بتاريخ 14 أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٧٧، في عملية خطف الطائرة «لاندس هوت»، التابعة لشركة طيران «لوفتهانزا» الألمانية، من طراز بوينج737 ، برحلتها رقم LH 181 ، المتوجهة من مطار مايوركا، إلى فرانكفورت، والتي كانت آخر عملية، نظمها وديع حداد، قبيل وفاته. وقد نصت مطالب الفدائيين على تحرير أحد عشر رفيقاً لهم، من الجبهة، معتقلين في ألمانيا، والحصول على فدية بقيمة 15 مليون دولار. وكانت الخطة الأصلية للمجموعة المنفِّذة للعملية، أن تحط بالطائرة المختطفة، في مطار عدن، لكن الفدائيين غيَّروا مسارها، بسبب مقتل قائد الطائرة، عقب إفشائه لمعلومات حساسة، للجهات الأمنية، خلافاً لما قرره له الخاطفون، ما

أدى إلى نزول الطائرة في مطار مقديشو(*)، بالصومال، حيث سمح الرئيس الصومالي محمد سياد بري، باقتحام الطائرة، من قبل فرقة ألمانية GSG9، بالتنسيق مع الإنكليز، في 18 تشرين الأول/ أكتوبر، رغم صداقته الشخصية مع وديع حداد، وقد عبَّر عن تلك الحادثة، بمقولته الشهيرة «إنهم اولادي .. لقد بعتهم في صفقة!». قتل رفاق سهيلة الثلاثة، وهم قائد العملية زهير عكاشة، الذي قامت

(*) ذكر موقع ويكيبيديا على شبكة الانترنت، خطأً، أن الطائرة (حطَّت في مطار عنتيبي، بالصومال!)، وتبعه في ذلك الخطأ، العديد من مواقع الإنترنت، والصحيح أن الطائرة التي اختطفها الفدائيون، ومنهم سهيلة فرحات، بتاريخ ١٤/ ١٠/ ١٩٧٧، حطَّت في مطار مقاديشو، بالصومال، وهي العملية المذكورة بعاليه.

في حين، أن إحدى المجموعات الفدائية، التابعة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وعدد أفرادها أربعة، وبتخطيط من وديع حداد، أيضاً، قد نفذت عملية اختطاف طائرة ايرباص، أخرى، بتاريخ ٢٧ يونيو/ حزيران ١٩٧٦، تابعة للخطوط الجوية الفرنسية «إير فرانس»، وعلى متنها ٢٢٨ راكباً، منهم مائة إسرائيلي، علاوة على طاقمها، المكوَّن من اثني عشر شخصاً، حيث حملت الرحلة رقم ١٣٩، متجهة من مطار بن جوريون، إلى مطار أورلي في باريس، وقد غير الفدائيون مسار الطائرة، وحطوا بها في مطار عنتيبي، القريب من كمبالا، عاصمة أوغندا، حيث انضم إلى الفدائيين، أربعة عناصر أخرى، كان أحدهم وديع حداد، نفسه، وطالبوا بالإفراج عن أسرى فلسطينيين، من السجون الإسرائيلية، مقابل إنهاء العملية، دون دماء، وفي ٢٩/ ٦/ ١٩٧٦ قام الفدائيون باحتجاز الإسرائيليين واليهود في صالة السفر القديمة بالمطار، فيما أفرجوا عن باقي المحتجزين، وقد ماطل الإسرائيليون في التفاوض مع الفدائيين، إلى أن وصلت إلى عنتيبي، قوة كوماندوز إسرائيلية، محمولة جواً، في ٢ يوليو/ تموز ١٩٧٦، قوامها مائتي عنصر، شارك فيها عناصر من لواء المظليين، ولواء جولاني، يقودهم يونتان نتنياهو، شقيق بنيامين نتنياهو، واشتبكت قوة الاقتحام الإسرائيلية، مع القوات الأوغندية، التي تتولى تأمين المطار، فقُتِلَ خمسة وأربعين من القوات الأوغندية، ثم اشتبكت القوة الإسرائيلية، مع الخاطفين فأردتهم، وخلصت الركاب المحتجزين. أفلت وديع حداد من الموت بأعجوبة، وهو الوحيد من المجموعة الفدائية، الذي أفلت من الموت، قُتِلَ في تلك العملية قائد المجموعة الإسرائيلية، وثلاثة عسكريين آخرين من المجموعة الإسرائيلية المهاجمة، كما أصيب الملازم أول «سورين هيرشكو»، إصابة بالغة، في العمود الفقري، تركته قعيداً مدى الحياة، كما قتل في العملية ثلاثة من الرهائن الإسرائيليين، ودمرت القوة الإسرائيلية، طائرة ميراج أوغندية، كانت جاثمة بالصدفة، على مهبط مطار عنتيبي.

قوة الاقتحام، بالإجهاز عليه، بعد إصابته، أثناء الاشتباك، الذي أعقب اقتحام الطائرة، رغم بقائه حياً بعد إصابته، والرفيقان نبيل حربي، ونادية دعيبس، التي قتلت داخل دورة مياه الطائرة، رغم النداءات التي أطلقها وزير الدولة هانس - يورغين فيشنيفسكي، الاشتراكي المعروف بتأييده للقضية الفلسطينية، الذي وصفها في كتابه بالمسالمة. أصيبت سهيلة أندراوس بعشر طلقات. ظهرت في تقارير مصوَّرة ترفع شارة النصر، رغم إصابتها البالغة.

حكم عليها في الصومال، في ٢٥ أبريل/ نيسان ١٩٧٨، بالسجن 20 سنة، وإن أُطلق سراحها لأسباب صحية. ثم تم اعتقالها، مجدداً في أوسلو، وترحيلها إلى ألمانيا، في نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٩٤، حيث حوكمت، للمرة الثانية، عن الوقائع نفسها، وذلك خلافاً للقانون، وحكم عليها بالسجن 12 سنة، وسجنت لغاية عام ١٩٩٧، في ألمانيا، ثم سمح لها بإكمال محكوميتها في سجن نرويجي، لحملها الجنسية النرويجية، حيث اطلق سراحها عام ١٩٩٩، أي بعد ست سنوات من السجن، لأسباب صحية، أيضًا.

وبهذا تكون المرأة الفلسطينية، قد شاركت في جميع أشكال النضال الوطني، بما فيه العسكري، إلا أن هذا الدور النضالي المميَّز لم يأخذ حقه في الإعلان عنه، ولم تتم دراسة هذه التجربة الفذَّة بالشكل المطلوب.

❊❊❊

الشهيدة البطلة دلال المغربي التي قادت المجموعة الفدائية واقتحمت حدود الوطن المحتل عام ١٩٧٨

obeikan.com

إيهود باراك يمثّل بجثمان دلال المغربي، بعد استشهادها

المناضلة ليلى خالد

سهيلة أندراوس، في الواحدة والعشرين من عمرها

المناضلة سهيلة اندراوس، محمولة على المحفَّة، مخضَّبة بدمائها، رافعة يدها بعلامة النصر، هاتفةً باسم فلسطين، بعد انتهاء عملية مقديشو، في ١٨/ ١٠/ ١٩٧٧.

سهيلة أندراوس الآن

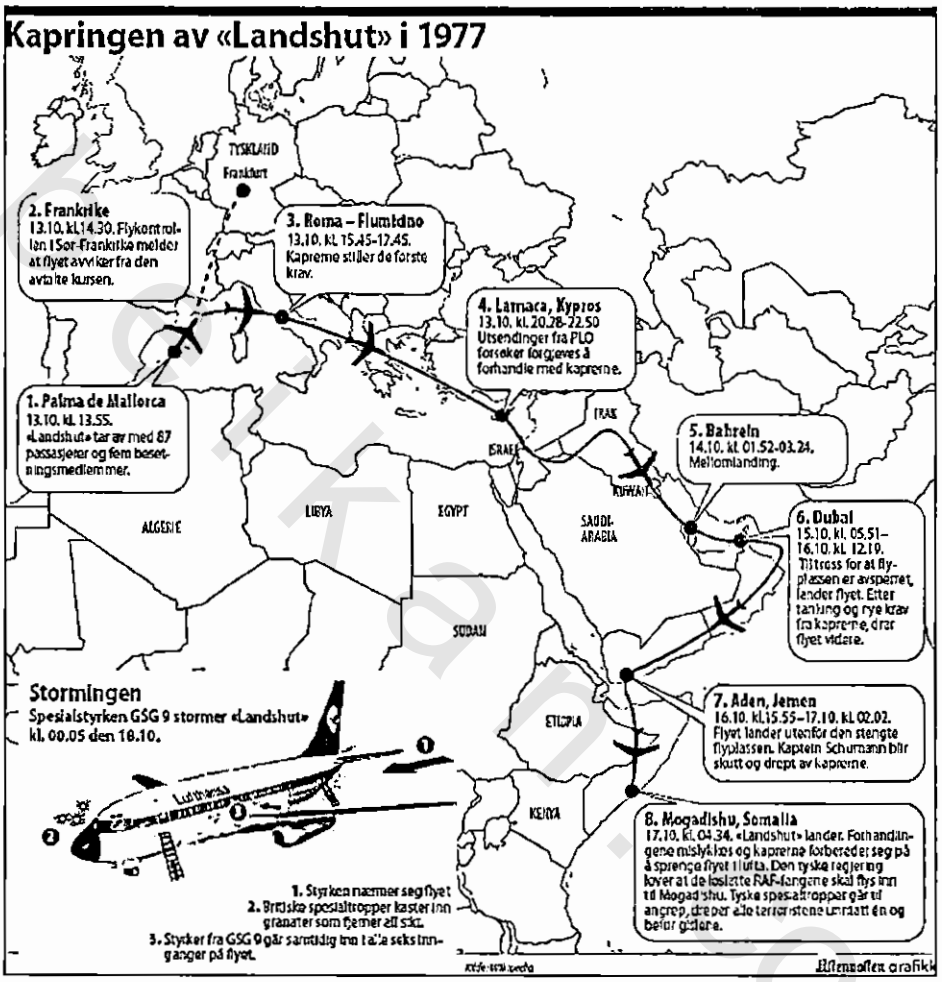

خط سير طائرة لوفتهانزا، في عملية مقاديشو ١٣ – ١٨ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٧٧.